مقالات تربوية

# رؤية مقترحة لتفعيل دور المجتمع فى نشر ثقافة الاستهلاك الأخضر

إعداد: أ/ وفاء عبد النبي المزين
باحثة دكتوراة بكلية التربية.. قسم المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم (تخصص العلوم التجارية).. جامعة كفر الشيخ..

نعيش اليوم عصر التحولات الرقمية التى أثرت على ثقافة الشعوب من خلال العولمة التى جعلت العالم قرية صغيرة، ومن التداعيات السلبية لهذه العولمة تحول ثقافات الشعوب من ثقافة الإنتاج إلى ثقافة الاستهلاك وخاصة بدول العالم النامى، بل تعدى الأمر ذلك بتحول الاستهلاك لفلسفة وأسلوب حياة، كما أثرت وسائل الإعلام على تشكيل أذواق المستهلكين واتجاههم إلى الثقافة الاستهلاكية بشكل سلبى، فإما تتجه نحو استهلاك السلع الكمالية أو ما يسمى بالاستهلاك الترفى أو التفاخرى الذى يعتقد الكثيرون بأنه يعبر عن المكانة الاجتماعية العالية لهم فى المجتمع، أو تتجه إلى الاستهلاك المفرط غير الرشيد الذى يحرم الأجيال القادمة من موارد البيئة بعد استنفادها أو يمنع بعض فئات المجتمع من أن تجد ما تحتاجه من السلع والخدمات، وهذا ما لمسناه أثناء أزمة مرض الكورونا بعد تكالب بعض أفراد المجتمع على شراء مستلزماتهم بشكل مبالغ فيه دون مراعاة للآخرين.

ولقد أشار بن يحى سميرة وبلعيور الطاهر (٢٠١٨) إلى أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التى عرفتها المجتمعات المعاصرة فى ظل العولمة وانتشار تكنولوجيا المعلومات هى التى حوَّلت مجتمعاتنا إلى مجتمعات استهلاكية بالدرجة الأولى، وأن الثقافة الاستهلاكية تعتبر مظهرًا من مظاهر الثقافة العامة للمجتمع المعاصر، وانتشرت فى ظل اقتصاد السوق والتطور العلمى والتقنى، وقد عرفت ثقافة الاستهلاك بأنها: مجموعة المفاهيم والأفكار السائدة فى مجتمع ما، والمرتبطة بالسلع والخدمات، والتى تتناسب مع طبيعة الاستهلاك البشرى، وتكتسب هذه الثقافة من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مثل: الأسرة، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام، وغيرها.

لذا أصبح من الضرورى الاهتمام بضرورة ضبط نمط سلوك المستهلك وتغيير ثقافته من ثقافة الاستهلاك غير الرشيد أو الترشيد إلى الاستهلاك الأخضر الذى يحمى البيئة بكل عناصرها ويحفظ حقوق الأجيال القادمة بها؛ حيث أصبح الحد من التداعيات السلبية لثقافة الاستهلاك على البيئة ــ ضرورة ملحة للحفاظ على وجود الإنسان وضمان استمراريته؛ مما تسبب فى ظهور ما يسمى بـ (الاستهلاك الأخضر) الذى يعد امتدادًا لعديد من المصطلحات، مثل: الاقتصاد الأخضر، والتسوق الأخضر، والتعليم الأخضر.

وتُعرف (ويكيبيديا) الاستهلاك الأخضر بأنه: الاستهلاك الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية المستدامة أو سلوك المستهلكين المستدام، وهو شكل من أشكال الاستهلاك يتوافق مع حماية البيئة في الحاضر وللأجيال القادمة، وهو يؤكد مسؤولية المستهلك عن معالجة المشكلات البيئية باتباع سلوكيات صديقة للبيئة، مثل: استخدام المنتجات العضوية، والطاقة المتجددة والنظيفة، والبحث في السلع التي تنتجها الشركات ذات التأثير المنعدم أو شبه المنعدم على البيئة، وخلال الستينيات وأوائل السبعينيات فى المجتمعات الغربية نشأت فكرة الاستهلاك الجديدة؛ لحماية البيئة وصحة الناس من الآثار الناجمة عن الملوثات الصناعية.

وأكد تقرير اليونسكو (التربية البيئية فى ضوء مؤتمر تبيليس، ١٩٨٣) أن الإفراط فى الاستهلاك والاستغلال غير العقلانى لموارد البيئة بطريقة غير رشيدة ينتج عنه مشكلات واختلالات فى النظام البيئى؛ مما يحدث ضغطا على البيئة سواء بشكل مباشر من خلال استنفاد الثروات غير المتجددة أو بشكل غير مباشر من خلال إنتاج كميات هائلة من المخلفات تفوق قدرة البيئات الطبيعية على الاستيعاب والتنقية؛ مما أدى إلى انقراض العديد من الحيوانات والنباتات بالإضافة لدفع جماعات كبيرة من البشر لهاوية الفقر والاغتراب (بن يحى سميرة، بلعيور الطاهر، ٢٠١٨).

لذا وجب علينا السعى لتشكيل المستهلك الأخضر، ويتحقق ذلك بزيادة وعى المستهلكين بدورهم نحو البيئة عبر تغيير عاداتهم لتتناسب مع البيئة ومواردها، وشراء المنتجات التى تسعى للحفاظ على البيئة، والبُعد عن السلع المضرة بالبيئة أو التي لها تداعيات سلبية على البيئة، وتشجيع سياسات التسويق الأخضر.

فى حين يوصى زيد بن محمد الرمانى(١٤٣٩) باتباع النظرية الاستهلاكية الخضراء من خلال تعليم المستهلكين كيفية اختيار المنتجات الخضراء التى تراعى البُعد البيئى، كما دعت منظمات المستهلكين – المؤسسة أصلا لتوجيه المستهلكين بالدول المتقدمة  لخفض الأثر البيئى للمنتجات، والاهتمام بالسلامة البيئية للمنتجات؛ للتخلص من فيروس الاستهلاك الجائر أو الشره للموارد الذى يمثل داءً استشرى فى نفوس أبناء المجتمع؛ مما تسبب فى اضمحلال البيئة واستنزاف مواردها، فيجب علينا كبح جماح الشهية المفرطة للاستهلاك أو النهم الاستهلاكى؛ للتغلب على حمى الاستهلاك وجنون الاستهلاك المدمر الذى أدى إلى تسارع نضوب موارد المعادن والطاقة غير المتجددة، وتدمير القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة وتحقيق فاقد اقتصادى كبير بحيث أصبحت ظاهرة خطيرة تنخر فى جسد الأمة وتهدم كيانها.

ويقترح بن يحى سميرة وبلعيور الطاهر (٢٠١٨) بعض الآليات لنشر ثقافة الاستهلاك التى تحافظ على البيئة، وهى: ضرورة وجود جمعيات لحماية المستهلك وتوعيته بضرورة حماية البيئة من الآثار السلبية للاستهلاك، وتفعيل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها الإعلام فى مواجهة الثقافة الاستهلاكية، وترشيد الاستهلاك، وتنمية الوعى البيئى، وتشجيع المشاركة الشعبية فى المشاريع التى تحافظ على البيئة، والاهتمام بالتربية البيئية من خلال البرامج التعليمية لتوعية الطلاب بالاستهلاك العقلانى للموارد، وتوجيه المؤسسات البحثية لإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث لفهم التداعيات السلبية لثقافة الاستهلاك واقتراح سبل علاجها.

وتوصي إيمان سوقال (٢٠١٧) بتبنى مزيد من السياسات والحوافز للدفع نحو الاستهلاك الواعى الذى يسترشد بقيم، مثل: الادخار والتدبير والبساطة والاكتفاء الذاتى، بالإضافة لتشجيع المستهلكين على تحقيق الاستهلاك المتوازن عبر إعادة استخدام السلع الاستهلاكية، كما توصي بضرورة تحليل ظاهرة الاستهلاك وتفكيكها وتشخيصها ومناقشتها برؤية شمولية من جوانب وتأثيرات عدة عوامل بما فيها الإعلام، وضرورة تثقيف المواطنين وبذل الجهود لمنع المنتجات التى تضر البيئة، كما تؤكد ضرورة الاتجاه نحو الاستهلاك العقلانى بأن نصبح مستهلكين أكثر مسئولية، والاهتمام بالثقافة الترشيدية التى تركز على فهمنا لعملية الاستهلاك مع التطلع لمصلحة الاقتصاد الوطني من خلال حسن إدارة القرارات الاستهلاكية على مستوى الفرد والدولة معًا، مع ضرورة تكاتف جهود جميع الجهات الفاعلة من مستهلكين وجهات حكومية وغير حكومية والإعلام لتحقيق ذلك.

وقد أشار زيد بن محمد الرمانى (١٤٣٩) إلى بعض الآليات لنشر ثقافة الاستهلاك الأخضر، وتمثلت فى: تشجيع أفراد المجتمع على الادخار الإيجابى، وتوفير أوعية إدخار مناسبة لهم، والبُعد عن تأثير وسائل الإعلام التى تدعو للشراهة الاستهلاكية، والبُعد عن التقليد الأعمى للمجتمعات المترفة ذات النمط الاستهلاكى الشره، وضرورة التوعية الاقتصادية للمستهلكين بالاستهلاك الأخضر من خلال قنوات التوعية الاقتصادية من تليفزيون، وقنوات فضائية، ووسائل تواصل، وصحف، ومجلات ورقية وإلكترونية، والغرف التجارية والصناعية، وجمعيات الاقتصاد المختلفة، والبنوك، والهيئات التجارية، والجامعات، ومراكز البحث العلمى، والمؤسسات التعليمية والتربوية، وذلك بعمل ندوات ، ودورات تدريبية، وإصداراتها التى تمثل خطوات إيجابية نحو إثراء التوعية الاقتصادية، بالإضافة لضرورة اتخاذ خطوات سياسية جريئة فى مواجهة القوى المشجعة على الاستهلاك الشره، والدعوة المتكررة للإصلاحات البيئية والاجتماعية، وإلغاء السياسات التى تدفع إلى الاستهلاك غير الرشيد للوصول لمستوى الاستهلاك الذى تطيقه الأرض لنترك لأحفادنا كوكبًا عامرًا بالوفرة والجمال، وتبنى مقرر التربية الاستهلاكية مقررًا دراسيًّا فى جميع المراحل التعليمية، وحث وسائل الإعلام على تقديم القدوات الاستهلاكية الرشيدة.

وفى الختام أقترح تشجيع التعليم الأخضر، حيث يمثل المنبع لتخريج المستهلك الأخضر الذى نستهدفه، كما يجب على الحكومة سن القوانين ووضع بعض الإجراءات التى تشجع الهيئات المصنعة على تقليل الانبعاثات المدمرة للبيئة، مثل: تقليل الضرائب، وزيادة الدعم المالى للمشاريع الخضراء، وتغليظ العقوبات للمشاريع التى تتنافى مع الاقتصاد الأخضر، وتفعيل دور الشراكة المجتمعية والقطاع الأهلى والخاص فى التوعية بالاستهلاك الأخضر، والاطلاع على أحدث التجارب العالمية فى الدول المختلفة لتطبيق الاستهلاك الأخضر للاستفادة منها فى مجتمعنا، والإسراع في وضع خطط لنشر ثقافة الاستهلاك الأخضر وتفعيله فى حياتنا، والمراجعة الواعية والجريئة لأنظمتنا الاقتصادية وإعادة النظر فى كل ما يتعلق بها للبدء بإصلاحها من خلال وضع استراتيجية جديدة لإعادة صياغتها لتكون قادرة على مواجهة الاستهلاك الشره والاتجاه للاستهلاك الأخضر.

## ◙ قائمة المراجع :


- بن يحى سميرة، بلعيور الطاهر (٢٠١٨). ثقافة الاستهلاك وتأثيرها على البيئة، مجلة آفاق للعلوم، جامعة زيان عاشور بالجلفة – الجزائر، ع١٣، سبتمبر، ص ص ٣٣٩ – ٣٤٨.
- إيمان سوقال (٢٠١٧). دور الإعلام فى تفعيل ثقافة ترشيد الاستهلاك، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتورى قسنطينة – الجزائر، ع ٤٧، جوان، ص ص ٣٢٣ – ٣٣٥.
- زيد بن محمد الرمانى (١٤٣٩). الاستهلاك فى حياتنا (إضاءات اقتصادية: أربعون نموذجًا)، كتاب منشور(نسخة إلكترونية)، استعرض بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٣، شبكة الألوكة المتاحة على الرابط :
  https://www.alukah.net/web/rommany/0/127011